

ماهية العلاقة بين الدواجر المغربية والعربية المعيار

The essence of the relationship between Moroccan and Arabic dialects

* د. حمزة القديري

جامعة محمد الخامس الرباط (المغرب)

البريد الإلكتروني: der.dichter2015@gmail.com



تهدف هذه الدراسة انطلاقا من الوقوف على مفهوم ازدواجية اللسانية - كما تطرق له فيرجسون - وكذا خصائصها، إلى إسقاط كل ذلك على العربية المعيار والدارجة المغربية، قصد التدليل على وجود ازدواجية فعلية بينهما، ومن ثم إيضاح متانة العلاقة الرابطة بينهما؛ الشيء الذي سيتأكد بالعرض للمشارك الذي يهيم المستوى الدلالي - تمثيلا لا حصرا - إضافة لتبيان طرق تقوية وإضعاف هذه الازدواجية قصد إصلاح الصدع المتواجد في الواقع المغربي. الكلمات المفتاحية: الازدواجية اللسانية، النوع الأعلى، النوع الأدنى، الوظيفية .

Abstract:

This study aims to identify the concept of linguistic dualism, as Ferguson has addressed, as well as its characteristics, to drop all of this on the standard Arabic and the Moroccan Darija, in order to demonstrate the existence of a real duality between them, and who has been explaining the strength of the relationship between them, which will be confirmed by the offer of the participant, which is of interest to the semantic level - represented not exclusively. In addition to demonstrating ways to strengthen and weaken this duality in order to repair the rift that exists in Moroccan reality.

Keywords: Diglossia, High variety, Low variety, Functional.

* المؤلف المرسل: د. حمزة القديري der.dichter2015@gmail.com

مقدمة:

خلق الله الإنسان وميزه عن باقي الخلق بنعمة العقل، وحباه بنظام محكم من الأصوات والرموز، يدعم وجوده الفطرة، وتكتسب مشروعيته بالسمع، كل ذلك ليعبر هذا الكائن البشري عن مقاصده، ويخلق مع غيره خيوطا من التواصل، تلبية للحاجة الوظيفية، مما يجعل هذا النظام موسوما بالاجتماعية، وعند هذا الحد يتفرع إلى ألسن متباينة معينة، ومؤطرة بالعرف والاتفاق، وهذا ما يجعل من كل لسان إنتاجا مجتمعيًا حادثًا عن ملكة اللغة.

وعلى الرغم من أن الألسن تنبثق من منبع واحد ثم تختلف، إلا أن وجودها والحاجة إليها تقودها نحو الالتقاء في مصب واحد، ولا بد من مجسد ومنجز يعطيها ذلك البعد الوجودي الملموس، وهذا ما يحققه الفرد، إلا أن ذلك لا يعني الانقطاع عن أسباب التفاعل، بل على العكس من ذلك تماما، فما يضمن للفرد حضوره هو التفاعل المستمر مع وداخل محيطه، تجسيدا لتلك الظاهرة الفكرية المرتبطة به دون غيره من المخلوقات.

إن اللسان مكون رئيس في تشكيل الهوية القومية، والمجتمع هو وعاء هذه الهوية، ولعل صنع هوية المجتمع العربي وازدهارها يوما، كان بفضل لسانها العربي، الذي عبر به عن إنتاجات شعرية بلغت أوجها في العصور ما قبل الإسلامية وما بعدها، وصولا إلى نكبة الشتات والفرقة العربية فكريا بالدرجة الأولى فجغرافيا، وما لبث أمر هذه الفرقة يترسخ حتى كان اللسان الواحد قد انحرف النطق به، وأخذ يجري على الألسن بطرق جانبية الفصاحة، وقطعت حبل الود معها.

ولعل من مسببات تلك الفرقة اللسانية وفقدان الفصاحة؛ الامتزاج الذي شكلت فيه العربية المعيار عنصرا ثابتا، في حين اختلفت نوعية اللسان المنافس بين القبطي والبربري...، ولم يكن ليحدث هذا وتخلق هوة بين لسان الدين ولسان الدنيا لولا تلك الفتوحات الإسلامية، وما واجهت من مقاومة ضعيفة لم تكن لتصل في أفضل الأحوال إلى مرتبة الند، نظرا للحضور القوي للعامل الديني.

فالوضع اللساني المعيش في العالم العربي ناتج عن الاحتكاك الذي حدث بين الألسن الأصلية لتلك البلدان وبين العربية المعيار، في فترة كان المبتغى نشر دين الله، وخير نموذج يهمننا بالدرجة الأولى هنا، هو اتصال البربرية بالعربية وتغلب الثانية على الأولى، إلا أن هذا التغلب لم يخل من آثار اللسان الأصلي وتبعاته، فكان أن تولد لسان دارج يحمل سمات عربية خالصة، مدعوم بحضور للنسق البنيوي العربي، ومشكل منه. وسنلجأ في هذه الدراسة للاستعانة بالمستوى الدلالي لنمثل به الارتباط المتين بين النوعين المقصودين بالدراسة في هذا المقال، على أن نعرض في دراسة مستقبلية لباقي المستويات.

ولعل أسمى هدف توخيته من وراء هذه الدراسة ذكرناه مرارا دون كلل، سواء بالإيجاء أو بالتصريح، طالما أننا نقصد درأ ودفع الدعوات الإيديولوجية التي تطعن في عربية الداريجة المغربية، وتقس نسبها، دون دراسة حقيقية تعبر على الأقل للجانب العلمي الداعي للأمانة العلمية والموضوعية. ووفق هذا تتحدد أهمية دراستنا.

01. ماهية العلاقة بين العربية المعيار والدواج المغربية:

خلصت مجموعة من الدراسات على أن ما يجمع الداريجة المغربية بالعربية المعيار يزيد عن الاستمداد والإمداد أو الأخذ والعطاء، فالداريجة المغربية ما كانت لترتدي حلتها التي هي عليها اليوم لولا تعرض العربية لتلك العوامل التي فرضت عليها هيأتها الجديدة، وهذا ما خلق لنا اليوم -وسنين من قبله- وضعا لسانيا يظل في كل أحواله ميلا لنقض خاصة الفطرة الجمعية، التي تقتضي تسخير أقل ما يمكن من مجهود للوصول إلى المبتغى والهدف المنشود، وإن صح الأمر الاكتفاء بأنسب وضعية لسانية تقود الفرد المجهول على التحرك نحو الأسهل، ونعني بهذا ما اصطلاح عليه بالتفرد

اللساني، إلا أنه اليوم في المجتمع المغربي صار توسيل أكثر من أداة لنفس الوظيفة التعبيرية مخالفا لأصل الخفة الفطري، أو لمبدأ الاقتصاد في الجهد.¹

وتظهر هذه الوضعية اللامتفردة عند الطفل المغربي في شكل مكتسب، في بيته، ومن والديه أو من أحدهما، في الستين أو الثلاث سنوات الأولى. فإذا انتقل إلى الحضانة، وخصوصا إلى الروض بعد ذلك، فإنه قد يواجه بلسان فرنسي مخلوط عادة بدارجة عربية مغربية. وقُل أن تجد الروض يسهم في تعليم العربية المعيار، أو إمكان الحديث بها. وينتقل الطفل بعد الروض إلى المدرسة العمومية، فيتعلم لسانا عربيا فصيحاً، قد يوظف المعلم في تلقينه تلك الدارجة التي يتواصل بها خارج المدرسة، مما يقف عائقا أمام اكتمال أو إنضاج لأي نظام من هذه الأنظمة.²

وبذلك يسهم الاكتساب والتعلم في تشكيل النموذج اللساني لدى الطفل، الذي يصير تواصله اليومي القائم بين البيت والمدرسة معرضا لصدع كبير. فحتى المتحدثون بالعربية من أبنائها يقعون بسبب هذا الصدع في أخطاء لا حصر لها، ويخرج حديثهم مصحوبا بالاضطراب وعدم الطلاقة، ذلك أنهم يتحدثون بالعربية المعيار وهم غير مطمئنين إلى قدرتهم على ذلك، فيبدلون جهدا كبيرا في التفكير، مصحوبا بالمعاناة، إذ أنهم يفكرون في بناء الصيغة اللسانية الفصيحة، ويفكرون في الوقت نفسه، في مضمون الرسالة التي يقصدون إلى إيصالها، فيخرج التعبير متعثرا.³ إذ أن استعمال الفصحى فعل محكم، وكل فعل من هذا القبيل مكلف، فإذا كانت الكلفة باهظة أو تتجاوز الفائدة، يضطر المستعمل إلى التخفيف من جهوده العضلية والذاكرية. وهذا هو السبب الأهم في تحول اللسان من نظام إلى نظام آخر. ولا بد من التنبيه على أن التحول الناتج من هذا

¹ انظر الأوراعي محمد، التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2002م، ص19.

² انظر الفاسي الفهري عبد القادر، اللغة والبيئة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (د.ط)، 2003م ص20 و21.

³ انظر موسى عطا، «نهاد موسى والتخطيط اللغوي مثل من ظاهرة الازدواجية اللغوية»، إريد للبحوث والدراسات، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، 2009م، ص203.

الميل الطبيعي إلى الاقتصاد (في جميع أفعال الإنسان) ينطبق خصوصا على لسان التخاطب اليومي العادي لغويته. لأن لسان التخاطب يخضع خضوعا كاملا لقانون الاقتصاد اللساني.⁴

ورغم كل التطور الذي حققته الدارجة، والمكاسب التي أحرزتها، تظل محرومة من ثروة خبرات الفصحى في التعبير عن الثقافة العربية، والفصحى حامل هذه الثقافة القومية. إذ من المعلوم أن الثقافة الدينية والإعلام والفكر والعلم وأشياء أخرى كثيرة، لا تتصل بالدارجة في المحيط العربي الإسلامي، وإنما تتصل باللسان العربي الفصيح، لأنه لسان الدين والحضارة والإبداع الأدبي، وما إلى ذلك من مجالات كثيرة، لا يتأتى نمو العربي المعرفي والديني والمجتمعي إلا بالنمو فيه، لأن هذه المعارف نشأت باللسان الفصيح، وتمكنت بها وتفتقت طاقة العربي فيها.⁵

لهذا كله نتساءل: ما المصطلح الذي وظف للتعبير عن هذه الوضعية اللسانية التي أشير إليها في خضم هذه الأسطر؟ وما الذي يدعم وجوده بالأساس في الثقافة العربية عامة والمغربية بالخصوص؟ وأين يبرز حضور هذا المصطلح دلاليا؟

1.1. مفهوم الازدواجية اللسانية:

كانت الأمة العربية قبل الإسلام وبعده تعرف وضعاً لسانياً متبايناً من الناحية الوظيفية، فما هو رسمي لجئ فيه لذلك اللسان الذي ائتلف حوله العرب في أسواقهم وأشعارهم ومناظراتهم ... في حين أنه كانت القبائل عند انعزالها تتحدث باللسان الذي جبلت عليه. ولم يختلف الأمر وظيفياً اليوم عما كان عليه الحال آنذاك، بل صارت الهوة بين اللسان الرسمي ولسان الحياة اليومية متسعة، لارتباطها بما هو تاريخي وسياسي وديني ... ولم يكن هذا الوضع اللساني يوماً مرتبطاً بالعرب ولسانهم فقط، فنجد أن اللاتينية لما آلت إلى الزوال تولد عنها ألسن حديثة، وحتى هذه الأخيرة جبلت

⁴ انظر الحاج صالح عبد الرحمان، «العاميات العربية ولغة التخاطب الفصيحة»، مداخلة علمية مقدمة في ندوة (الفصحى وعامياتها، لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب)، الجزائر، (04-05 يونيو 2007)، ص 81.

⁵ انظر الفاسي الفهري عبد القادر، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 1، 1998م، ص 152.

بالسن ناشئة مثل الكريول مع الفرنسية، إذ أن الفرنسية هي "بين أهلها والملاحق ناضجة مكتملة ولغة خالصة متمدنة، لكنها ليست كذلك في طفولة الكريول كما تتلفظ بها أفواه المتفرنسة من أبناء الدول المتخلفة في إفريقيا وآسيا وأرخبيلات الأنتي. إذ استلم أولئك من المستعمر الوافد عليهم الفرنسية؛ وهي لغة مستوفية لشروط الكمال والتحضر. ثم بنى منها الهاتيون والمارتينك وغيرهم، بتأثير من نظام حياتهم البدائية، الكريول، فكان الخرج لغة هجينة بدائية، قد تمثل لطفولة أي من لغات الاستعمار الأوروبي، وإن شكل هذا البناء مرحلة متطورة بالقياس إلى البدجين".⁶

وتتميز تلك الألسن الناشئة نسقيا بصعوبة إدراجها في نمط لساني، وبوجود خانات فارغة في مكوناتها الصرفي والتركيب، وفقر معجمها المرتبطة مدخله بالحرف اليدوية والمبادلات الضرورية للحياة الاجتماعية البسيطة. وغلبة الاقتراض عليه، لتوسم مداخله المعجمية من جهة اللفظ بعدم التجانس نطقا، ونحو ذلك من أشكال التعبير الفني المتميز عادة بالعفوية والسداجة. وهي تنقل شفويا (ثقافة عشائرية)، تستند إلى رواية التجارب الشخصية المتراكمة عبر حقبة تاريخية. وقد لا يكون لهذه الثقافة انتشار خارج مجتمعاتها البسيطة.⁷

وأمام هذا الوضع القائم، يوجد بالإضافة إلى العاميات والدواجر، لسان مميّز يعد أداة لتسجيل حجم كبير من الأدب المكتوب، كما أن اكتسابه يتم أساسا بواسطة التعليم الرسمي، ويستعمل في معظم الأغراض المكتوبة والأحاديث الرسمية، لكنه غير مستعمل في المحادثة العادية من قبل أي قطاع في المجتمع.

⁶ الأوراني محمد، التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2002م، ص22.

⁷ انظر الأوراني محمد، التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي، ص23، 24 و25.

لقد برز مصطلح (DIGLOSSIA) الذي قوبل بترجمات مختلفة في العربية، منها **الشفرة اللساني**⁸ و**الشائبة** و**الازدواجية**، إلا أننا سنستقر على الازدواجية مقابل لـ (DIGLOSSIA) سيرا على خطى من سبقنا في ذلك.

ويعني الازدواج في السياق العربي عموماً، والمغربي خصوصاً، تعايش العربية العامية الدارجة والعربية المعيار. وعلى الرغم من أن الازدواج ظاهرة شائعة بين الألسن، إذ ربطت باللسان العربي على الخصوص، منذ عمل تشارلز فيرجسون عن الازدواج اللساني سنة 1959. لكن أول من أطلق صفة الازدواج اللساني كان كارل كرومباخر (krumbacher) في عام 1902، بخصوص الوضع اللساني في اليونان؛ واستعملها بعده وليم مارسيه (W. Marçais)، إلا أن عمل فيرجسون الذي قابل الازدواج اللساني في العربية بالازدواج في غيرها من الألسن، جعل المسألة موضع نقاش عام.⁹

لاحظ فيرجسون أنه في المجتمعات الكلامية التي درسها، وخص بالذكر اليونانية والعربية والألمانية السويسرية والكريولية الهيبتيية (ويقصد هنا بالمجتمعات الكلامية؛ ما يستطيع تحديده عن طريق الحدود التي تفصل بين الدول)، هناك استخدام لأكثر من نوع من أنواع اللسان، هذه الأنواع لا بد أن تعود إلى لسان واحد، ويستخدمها أفراد ذلك المجتمع تحت ظروف مختلفة ولأسباب متباينة. وهي محددة الوظيفة، حيث إن توظيف أحدهما بدل الآخر يعتبر خطأ، وفي معظم الأحوال مدعاة للسخرية.¹⁰

وتكون الأنواع اللسانية في المجتمعات الأربعة التي لاحظها فيرجسون على نوعين: النوع الأول يبرز عادة في شكل فصيح يسمى بالنوع اللساني الأعلى (High Variety)، وفي هذا الإطار

⁸ استعمل هذا المصطلح للتعبير عن الازدواجية من قبل الأوراعي محمد في كتابه التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي.

⁹ انظر غاليم محمد، «اللغة والهوية في ضوء النظرية السياسية»، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، يناير 2013م، ص332.

¹⁰ انظر صالح الفلاي إبراهيم، ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق، (د.ن)، الرياض، ط1، 1417هـ/1996م، ص17.

فهذا النوع يستعمل أساسا في أوضاع مخصوصة، مثل السياقات الدينية والثقافية والتعليمية والرسمية والإعلامية... إلخ، أما النوع الثاني فيأخذ شكل لهجات عامية ودوارج، ويسمى بالنوع اللساني الأدنى (Low Variety). وكان فيرجسون يتحدث عن هذين (النوعين) باعتبارهما مرتبين الواحد فوق الآخر.¹¹ فذهب إلى أن التنوع الأعلى أو التنوع المعياري عموما ليس فطريا عند أحد، لكونه معطى ثقافيا أعلى، بوظائف لا يمكن إتقانها إلا بعد فترة من الاكتساب اللساني الأول العادي.¹²

لقد حدد فيرجسون ازدواجية على أساس أنها؛ وضع لساني ثابت نسبيا، يكون النوع الأعلى فيه منظما أو مصنفا للغاية، ويكون هذا النوع أكثر تعقيدا من الناحية النحوية والصرفية والتراكيب الصوتية، وأعلى من غيره، ويمثل له بالأدب المكتوب الذي يحظى باحترام أفراد المجتمع. ويكون مصدر هذا الأدب إما عصور سابقة، وإما من مجتمع آخر غير المجتمع الذي توجد فيه الازدواجية. ويتم اكتسابه عن طريق التعليم الرسمي (المدارس والمعاهد)، ويستخدم في أغراض الكتابة والتحدث الرسمية، على العكس من النوع الأدنى الذي لا يستخدمه أي قطاع من قطاعات المجتمع لغرض المحادثة الرسمية.¹³

وليس صحيحا أن النوع الأعلى مكتوب فقط، والنوع الأدنى منطوق، بحيث يمكن أن نتحدث عن ازدواجية كتابية، أو لا تناظر كتابي. فالحوارات في الفضاءات العربية تبين أن الأنواع

¹¹ انظر غاليم محمد، «اللغة والهوية في ضوء النظرية السياسية»، ص332. وصالح الفلاي إبراهيم، ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق، ص19. والفاسي الفهري عبد القادر، السياسة اللغوية في البلاد العربية بحثا عن بيئة طبيعية، عادلة، ديمقراطية، وناجعة، دار الكتب المتحدة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2013م، ص 19. وسراج نادر، «إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي (رؤية ألسنية حديثة)»، مجلة الاجتهاد، العدد 20، السنة الخامسة، صيف العام 1414هـ/1993م، ص217.

¹² انظر الفاسي الفهري عبد القادر، السياسة اللغوية في البلاد العربية، ص21.

¹³ انظر صالح الفلاي إبراهيم، ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق، ص21.

تختلط، بحيث يستعمل النوعان الأعلى والأدنى بالتناوب والمزج. ولم تعد العاميات شفوية فحسب، بل أصبحت تكتب في الروايات والصحف والإشهار أو الإعلان إلخ.¹⁴

وفي كل حضارة هناك ازدواجية قائمة على الثقافة العالمة الفصيحة المدونة الرسمية، الخاصة بالعقل المنتج والقوى المدبرة، وهناك من جهة أخرى الثقافة الشعبية، والمعيش والعملي. لذا يسهل القول هنا بقيام خطابين داخل كل ثقافة؛ خطاب الاختصاصي والمثقف والباحث المجتهد، والفكر النظري والتجريد، وعالم المفاهيم والعقل المحض، ثم خطاب العامة والمحسوس، وعالم الشفهي والاستهلاك، والعلائق الحية المألوفة الشائعة. فالأهم تملك عادة لسانين، يكتسب أحدهما مرجعية تفوق ما للآخر، بسبب أن هذا الأول العالم/ المدون، قد تشارك في إجلاء شكله النهائي والمعروف، وفي بلورة جملة قواعده وقوانينه، كتاب ولسانيون وفلاسفة، وكان على مر السنين محط اهتماماتهم وتقديرهم. بينما اللسان الآخر (العامي) يعرف بضآلة قدرته التعبيرية، فيما عدا الماديات واليوميات والتداولات من شؤون الحياة. ولو أردنا أن نمثل لمدى تفاعل اللسانين في احتكاكهما اليومي لقلنا؛ إن العامية تغني الفصحى بتعابير مادية وتجسيمية، بينما تغني العامية بالتعابير المجردة أو غير المادية، التي تتوافر عادة في الشكل الفصحى للسان ما.¹⁵

والذي أكسب ذلك النوع الأعلى مرتبته -ونخص بالذكر هنا اللسان العربي الفصحى- أسباب متعددة، في مقدمتها العامل الديني، فالجميع يسلم بأن القرآن هو أرقى إنجاز لسانی للعربية في كل مجال ممكن، ولا أحد يستطيع منافسته، ويتعين على الجميع أن يحاولوا محاكاته بخضوع وخشوع، ولا ينبغي أن يكتب شيء لا يلتزم بالحالات البلاغية والأدبية والاصطلاحية واللسانية السائدة في القرآن. ينضاف إلى هذا الارتباط الوثيق بين العربية وماضي العرب المجيد، فالعربي يعد العربية الفصحى لسان أسلافه الذين صنعت مآثرهم التاريخ في ظل الإسلام، كما يعد استعمال

¹⁴ انظر الفاسي الفهري عبد القادر، السياسة اللغوية في البلاد العربية، ص 34.

¹⁵ انظر سراج نادر، «إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي (رؤية ألسنية حديثة)»، ص 213 و 219.

لسان أولئك الأجداد البارزين العظماء فخرا عظيما له. دون نسيان تأثير القومية العربية الحديثة، فالافتخار بلسان ما يعد شيئا مشتركا، لكن بعض الأمم تشعر بهذا أكثر من غيرها.¹⁶

واستعمال المجتمعات نوعين للسان واحد في بيئة لسانية واحدة، لا يعني وجود امتياز متجل في امتلاك لسانيين، بل يعني الافتقار إلى لسان وظيفي واحد منسجم مكتمل الحلقات، يعاني من الازدواج والانشطار والتشوه. وهذا بدوره لا يحيل على وجود تعارض، وذلك ما أكدته فيشمان؛ الذي لاحظ أن استعمال أنساق مختلفة في مجتمع معين والحفاظ عليها في وضع قار، دون إحلال نسق منها محل نسق آخر، يكون تابعا للأدوار التي يقوم بها نسق معين، والمختلفة عن الوظائف المنوطة بالنسق الآخر. فبينما يعبر نسق معين عن مجموعة من السلوكات والمواقف والقيم، فإن مجموعة أخرى من السلوكات والمواقف يعبر عنها النسق الآخر. فتكون المجموعتان مشروعيتين ثقافيا، ومتكاملتين اجتماعيا، أي غير متصارعتين، كما هو شائع لدى البعض، وكما يظهر في كثير مما ينشر عن علاقة الدارجة بالعربية المعيارية. فالصراع أو التعارض إذا غير واردين في هذا السياق، بالنظر إلى اختلاف المجموعتين الوظيفي. ومن المعتاد أن يسير هذا الاختلاف كما سبقت الإشارة في اتجاهين: (لسان) معيار (عالي High) يستعمل في الدين والتعليم والإدارة وباقي المظاهر الثقافية والإعلامية الأخرى، ولسان (عامي) يستعمل في الأغراض اليومية والبيت والأسرة وأوساط العمل اليديوي... إلخ.¹⁷

ويعد استعمال النوع الأعلى في المجالات التي ينتظر فيها استعمال النوع الأدنى خرقا لمبادئ الكفاية التواصلية، أو فهما غير لائق للثقافة اللسانية. فبالنظر إلى الفرق الوظيفي بين النوعين في

¹⁶ انظر القعود عبد الرحمان بن محمد، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، (د.ن) الرياض، ط1، 1417هـ/ 1997م، مؤسسة هنداوي سي آي سي، (د. م)، (د. ط)، (د. تخ)، ص 162 و 163.

¹⁷ انظر مصطفى عادل، مغالطات لغوية الطريق الثالث إلى فصحي جديدة، ص 176. وغاليم محمد، «اللغة والهوية في ضوء النظرية السياسية»، ص 333.

الازدواجية، فإن كلا منهما له مجالاته المستقلة، بحيث يبدو غريبا استعمال أحدهما في مجالات الثاني أو العكس.¹⁸

ويرى فيرجسون أن الازدواج اللساني لا يظهر أو ينشأ في مجتمع بعينه إلا بشروط؛ أولها أن تتوافر مادة أدبية كبيرة بلسان ذي صلة وثيقة باللسان الأصلي للمجتمع، أو مماثل له، لتشكيل جزءا مهما من قيمه الأساسية. أما الشرط الثاني فيكمن في اقتصار الكتابة على نخبة قليلة من المجتمع. بينما الشرط الثالث يهم مرور فترة زمنية طويلة تقدر بقرون عديدة على توافر الشرطين السابقين.¹⁹

ويكون النوع الأدني داخل المجتمعات المزدوجة اللسان ممثلا بدواجر متعددة، الشيء الذي يخلق نوعا من السلمية بينها وبين دارجة المركز، بحيث أن الأفراد في بقية أرجاء المجتمع (عدا المركز) ينظرون إليها كشكل أعلى، فعندما يتحدثون فيما بينهم يستخدمون الدارجة المحلية الخاصة بمنطقتهم، أما دارجة المركز فإنها تحتل الوظائف العليا للمجتمع، كالاتصال بين أفراد المجتمع من مختلف الأرجاء، ولكن أفراد المجتمع الذين يعيشون في المركز لا يتبعون مثل هذا التخصيص في الوظيفة، فهم يستخدمون دارجتهم المعيارية للاتصال فيما بينهم، وهذا الاتصال يأخذ عادة شكل الأحاديث اليومية.²⁰

ويرى فاسولد أن وجود الشكل اللساني المعياري مع دواجر أخرى في سائر قطاعات المجتمع، لا يتنافى مع مفهوم الازدواجية، لو تم استبدال لفظ مجتمع كلامي الذي أشار إليه فيرجسون بلفظ آخر هو مجتمع ازدواجية اللسان (Diglossic Community)، على اعتبار أنه تلك الوحدة الاجتماعية التي يشترك فيها النوعان اللسانيان الأعلى والأدنى. والسبب وراء هذا الاستبدال هو أن لفظ المجتمع الكلامي لفظ واسع المعنى، ومن الصعب تعريفه تعريفا دقيقا، أما لفظ مجتمع ازدواجية

¹⁸ انظر الفاسي الفهري عبد القادر، السياسة اللغوية في البلاد العربية، ص 32 و 34.

¹⁹ انظر المصري عباس وأبو حسن عماد، «الازدواجية اللغوية في اللغة العربية»، ص 48.

²⁰ انظر صالح الفلاي إبراهيم، ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق، ص 103.

اللسان، فإنه من السهل تحديده بخصائص أو سمات لسانية بدلا من السمات السياسية كالحدود وغيرها.²¹

وبناء على هذا التوسع الجديد في مفهوم ازدواجية اللسانية، فقد أعاد فاسوولد تحديده في أنه: حجز الأجزاء اللسانية العليا في المجتمع (والتي لا يكتسبها الفرد ولكنه يتعلمها لاحقا، وبطريقة واعية، ويتم هذا التعلم عن طريق التعليم المدرسي) لأوضاع يدركها الفرد على أنها أكثر رسمية وأكثر تحفظا. وحجز الأجزاء اللسانية الدنيا الأوضاع التي يعتبرها الأفراد أقل رسمية وأكثر ألفة، والتي يتم اكتسابها أولا بطريقة لا واعية مهما كانت درجة الترابط بين هذه الأجزاء الدنيا والأجزاء العليا، بدءا من الاختلاف في الأسلوب، ونهاية بالاختلاف التام، كما في الألسن المنفصلة.²²

وقد ذكر هاديسون إدواردز أن الوصول إلى نظرة موحدة لازدواجية اللسان يتطلب النظر إلى المميزات الزمنية والتزامنية (Diachronic and Synchronic attributes)، ويقصد بالمميزات الزمنية أو التاريخية؛ ما نستطيع ملاحظته من تغيرات من منظور تاريخي، ويقتضي التعامل معها الرجوع إلى الماضي ومعرفة ودراسة التطور التاريخي. أما المميزات التزامنية فإنها تتطلب النظر إلى التغيرات اللسانية في زمن محدد أو إحدى مراحل التطور.²³

ويتميز كل من النوعين -الأعلى والأدنى أو الفصح والدارج- بملامح متباينة، في مقدمتها التقسيم شبه الكامل بينهما في العمل، فالعربية الفصحى لا تصلح للتعبير عن الجوانب المحسوسة والجوانب المادية للحياة المعاصرة، وليس بوسعنا أن نطلق أسماء عربية فصيحة على المبتكرات والأجهزة التي نجدها في المنزل الحديث، ناهيك عن آلاف الأشياء التي نشاهدها في المكتب وفي المصنع وتحت غطاء السيارة وفي المعمل أو في أي إبداع من إبداعات الحضارة الحديثة. وربما يستطيع

²¹ انظر صالح الفلاي إبراهيم، ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق، ص104.

²² انظر صالح الفلاي إبراهيم، ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق، ص119.

²³ انظر صالح الفلاي إبراهيم، ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق، ص131.

العربي أن يوصل فكرته بالعامية عن طريق استعارة كلمات من ألسن أجنبية، أو نحت كلمات جديدة من ناحية، وباللجوء إلى الدوران حول المعنى من ناحية أخرى، ولكنه لا يستطيع استعمال هذه الكلمات المستعارة المنحوتة حديثاً في كتاباته دون الاحتماء بالرموز الاعتذارية، مثل الأقواس وعلامة التعجب أو علامة الاستفهام. وتبقى الدواجر على تعددها مناسبة للتعبير عن مظاهر الحياة اليومية العملية، ففيها ما يكفي من الكلمات التي تعبر عن الأشياء المحسوسة التي يستعملها العربي العادي، كما تحتوي على تعبيرات وكلمات زاحرة بالمعنى.²⁴

وتكاد تحليلات الدواجر المعاصرة لا تنبض إلا على وقع تعبيراتها. وهي تعكس من خلال شفافيتها وسرعة إيصالها، الإيقاع الحقيقي لمشاعر الفرد وتطلعاته. إنها تنقل الجانب المعيش من تجربتنا الإنسانية الحميمة، ذلك الذي ليس بمقدور الفصحى أن تعبر عنه، نظراً لطابعها التجريدي، كما لعدم التفاتها عموماً نحو ما هو محسوس ويومي ومادي في حياة المرء، وهي بذلك الألفق والأصدق، والأكثر مباشرة.²⁵

2.1. خصائص الازدواجية اللسانية:

من خلال ما تم إيرادُه بخصوص الازدواجية اللسانية، والتعريف الذي حظيت به، يتضح أن أي مجتمع لساني ليتم وسم وضعيته اللسانية من الناحية الوظيفية بأنه مجتمع مزدوج اللسان، لا بد من توافر خصائص حددها فيرجسون في تسع:²⁶

1.2.1. الوظيفة: من أهم خصائص هذا الازدواج اللساني، الوظيفة التي يؤديها كل من النوعين اللسانيين الأعلى والأدنى. فهناك بعض المناسبات أو الأوضاع الاجتماعية التي تحتم استخدام النوع

²⁴ انظر صالح الفلاي إبراهيم، ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق، ص 157، 158 و 159.

²⁵ انظر سراج نادر، «إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي (رؤية ألسنية حديثة)»، ص 227.

²⁶ انظر صالح الفلاي إبراهيم، ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق، ص 22-49. والقعود عبد الرحمان بن محمد، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، ص 199-218.

الأعلى، وفي حالة العربية الفصحى هناك الخطب الدينية والمحاضرات والندوات الوطنية والدولية...، بينما هناك بعض الأوضاع التي يكون استخدام النوع الأدني -مثلا هنا في الدارجة المغربية- ضرورة حتمية، ونلجأ لهذا النوع في محادثاتنا مع الأهل والأصدقاء...إلخ. وما يميز النوعين معا أن توظيفهما حسب المقام الاجتماعي الذي يستدعي أحدهما أو كلاهما يكون ثابتا على وجه الإطلاق، بمعنى أنه لا يتناول نوع على مكانة الآخر، فيما عدا بعض الحالات النادرة والاستثنائية التي أصبحنا نشاهدها. وهذا التخصيص في الوظيفة أو الاستخدام لجميع طبقات المجتمع مهما كانت درجة تعلم أفراد ذلك المجتمع، وكذلك الإدراك من جانب الأفراد والمجتمع، نستطيع تتبعه في رد فعل هؤلاء الأشخاص، عند توظيف نوع لسانی غير مناسب في وضع يستدعي استخدام النوع الآخر.

2.2.1. المنزل/ المكانة: يعتبر جميع أفراد المجتمع النوع الأعلى كالعربية الفصحى لسانا عالي المستوى، وأرفع منزلة، بحيث لا يقارن مستواه بمستوى النوع الأدني الممثل في الدواجر، ونخص بالذكر هنا الدارجة المغربية. هذا الاحترام العميق أو المقام العالي الذي تتمتع به العربية الفصحى، قد يقود بعض أفراد المجتمع إلى إنكار وجود ذلك النوع المتدني والمنحدر منها، والبارز في شكل لهجات وعاميات ودواجر. أما الأفراد الذين لا ينكرون وجوده فإنهم ينظرون لهذه المنحدرات على أنها انحراف عن معايير النوع الأعلى.

3.2.1. التراث الأدبي: يتمتع النوع الأعلى من اللسان بتراث أدبي أكبر من التراث الأدبي الذي يحظى به نظيره المنحدر عنه، ويكون هذا التراث الأدبي الذي ينال التقدير والاحترام في الحالات الدراسية التي ذكرها فيرجسون على نوعين: (أ) أن يكون امتدادا لتراث سابق مكتوب بالنوع الأعلى، والذي يمثل لمتحدثي هذه اللسان اتصالا بماض زاهر مجيد، وهذا النوع ينطبق على حالة اللسان العربي، ذلك أن ما تزخر به العربية من موروثات شعرية ونثرية، جعلها حضارة غنية، ومزارا لكل دارس ومبتغ لعلم لم يكتب له الخطوة عند أهله. (ب) أن يكون التراث الأدبي آتيا من مجتمع

آخر غير المجتمع الذي توجد فيه الازدواجية، مجتمع يكون في حالة من الإنتاج المستمر، وتقوم فيه الفصحى مقام النوع المعياري.

4.2.1. الاكتساب: يستخدم البالغون العامة أو الدارحة (النوع اللساني الأدنى) عند التحدث مع الأطفال، كما أن الأطفال يستخدمون هذا النوع عندما يتحدثون فيما بينهم. ويتضح من هنا أن الدارحة كنوع أدنى تكتسب بطريقة طبيعية فطرية، جبل عليها ذلك الطفل بناء على السمع منذ المهد. وربما نسمع الفصحى من الأطفال بين وقت وآخر. ولكن اكتسابها الفعلي يتحقق بصفة أساسية عن طريق التعليم الرسمي، سواء كان هذا التعليم في مدارس القرآن التقليدية، أو المدارس الحكومية الحديثة، أو عن طريق معلمين خصوصيين. من هنا يتضح أن الظروف التي تهيأت للنوع الأدنى في ثوبه الدارج، جعلته لسانا أما لتلك المجتمعات، ومنها المجتمع المغربي.

5.2.1. المعيارية: يرى فيرجسون أن هناك شكلين للمعيارية بالنسبة للعاميات والدواج، أو ما يسميه بالنوع اللساني الأدنى، ففي المجتمعات الصغيرة والتي عادة ما يكون لها مركز حضري موحد، تكون الدارحة المتحدثة في ذلك المركز هي المعيار للنوع الأدنى، مع محاولة باقي أفراد القرى والمدن الأخرى تقليد هذه النوع إلى حد كبير. أما في المجتمعات التي لا يكون لها مركز حضري موحد كما هو الحال بالنسبة للعربية، فإن هناك العديد من اللهجات الإقليمية، والتي تكون معيارية في إقليمها. وتتكون المعيارية من جزأين؛ ففي الجزء الأول يتم قبول نوع لساني على أنه تعاقد وعرف أرفع من الأنواع اللسانية الأخرى، ويتبع هذا القبول في الجزء الثاني عمليات التقنين والتحديث، حيث يتم التوسع في الكلمات، وما يصحب هذا التحديث من وضع المعاجم وكتب النحو التي تحدد للمتحدثين التوظيف اللساني الصحيح. وفي الازدواجية يكون النوع الأعلى دائما هو الشكل الذي كتب وما زال يكتب له العديد من كتب النحو والصرف والتراكيب الصوتية، بالإضافة إلى المعاجم التي تحمل في طياتها معاني مفردات ذلك النوع. بالإضافة إلى هذا فإن هناك إجماع بين أفراد ذلك المجتمع على طرق النطق الصحيحة والقواعد النحوية، وحتى على قواعد الإملاء والخط الخاصة به،

إضافة للكم الهائل من الدراسات التي تستهدف النوع الأعلى. ويقابل ذلك تقصير في دراسة النوع اللساني الأدنى، الذي تظل دراسته إما غير موجودة وإما حديثة نسبيا وقليلة في حجمها، وغالبا ما تكون هذه الدراسات منجزة -بداية أو بشكل أساسي- من قبل باحثين خارج المجتمع اللساني عينه، ومكتوبة باللسن أخرى.

6.2.1. الثبات: تعتبر ظاهرة ازدواجية اللسان وضعاً لسانياً ثابتاً يدوم قروناً عديدة على الأقل، أضف إلى هذا أن الشواهد في بعض الحالات توضح فيما يبدو، أنه يمكن أن يصل إلى أكثر من ألف عام، كحال الشواهد الشعرية والنثرية في العربية. فازدواجية اللسان العربي على سبيل المثال ترجع إلى عهد ما قبل الإسلام، وربما إلى عهد أبعد منه، إضافة إلى ذلك ظهور اللحن في العربية، نتج عن اختلاط العرب بالأعاجم، والذي يرجع إلى عهد الدولة العباسية بالخصوص، وهنا نستطيع القول بأن خاصية الثبات تصف وضع العربية وصفا جيدا.

7.2.1. النحو: تعد البنية النحوية واحدة من الفروق اللافتة بين الفصحى والدارجة، ففي الأولى فئات نحوية لا توجد في الثانية، كما أن لها نظاما صرفيا خاصا بالأسماء والأفعال، مختزلا أو غائبا تماما في النوع الأدنى. فعلى سبيل المثال في العربية الفصحى ثلاث حالات للاسم، تظهر إما مكتوبة فوق نهايته أو مسموعة عند نطق هذه الأسماء، هذه الحركات تميز الاسم المرفوع عن المنصوب والمجرور، ولكن في الدارجة لا يوجد أثر كبير لتلك الحركات الثلاث، زد على ذلك اقتصار النوع الأدنى على أقل عدد من القواعد.

وإذا كنا قد سلمنا بصحة المقارنة التي ترى أنه في كل مجتمع موسوم بازدواجية اللسان، هناك اختلاف كبير بين التراكيب النحوية في الشكليات الأعلى والأدنى، يتبلور في غنى النوع الأعلى وفقرة النوع الأدنى من الناحية النحوية، فإنه حسب فيرجسون يمكن وضع قاعدة عامة للتركيب النحوي للنوعين معا، حيث نستطيع القول بأن التركيب النحوي للنوع الأدنى أسهل وأقل تعقيدا من التركيب النحوي للنوع الأعلى.

8.2.1. المفردات: معظم مفردات النوعين الأعلى والأدنى مشتركة، وغالبية كلمات هذا الأخير موجودة أيضا في النوع الأعلى، ولكن باختلاف في التركيب والاستخدام، وقد يكون هناك اختلاف في المعنى في بعض الحالات. وإلى جانب هذا الارتباط هناك ارتباط ثان، بحيث أن زوجا من الكلمات يكون شائع الاستخدام في النوعين، وعادة ما يعود المعنى على الشيء نفسه تقريبا، واستخدام أحد جزئي هذا الزوج يرمز بشكل مطلق إلى النوع اللساني المستخدم. والمثال الذي ذكره فيرجسون هو زوج الكلمات (رأى-شاف) والذي يعني الشيء نفسه تقريبا، والفرق بين الكلمتين هو؛ أن كلمة (رأى) كلمة تخص النوع الأعلى، وهي نادرة الاستخدام في الحديث اليومي، وإن كانت هي الكلمة التي نتوقع استخدامها في الكتابة كما في الصحافة والشعر العربي الفصيح. أما كلمة (شاف) فإنها تحيل على النوع الأدنى والذي نستخدمه كل يوم تقريبا، وإن كنا لا نكتبه عندما نود كتابة موضوع لنشره في الصحف أو ما شابه هذا. وسيتم التطرق للجانب الدلالي في الأسطر اللاحقة.

9.2.1. التراكيب الصوتية: يشكل النظام الصوتي للنوعين الأدنى والأعلى وحدة واحدة من وحدات التركيب الصوتي، ففي هذا التركيب الصوتي الموحد يكون النوع الأدنى هو الأساس، أما الاختلافات الموجودة في النوع الأعلى فإنها تكون إما جزءا من النظام، وإما شكلا موازيا لذلك النظام. فتحديد النطق بتبعيته لأحد الأشكال دون الآخر يبدو غير ممكن، ولكن، من الممكن افتراض أن المتحدث في مجتمع مزدوج اللسان يملك نظاما صوتيا واحدا، مع وجود خصائص لكل نوع من الأنواع اللسانية، والتي عادة ما تتسبب في وجود تداخل أو تضارب بين استخدام النوعين. فإذا احتوت كلمة ما من النوع الأعلى على مجموعة أصوات كان بعضها غير موجودة في النظام الصوتي للنوع الأدنى، فإن المتحدث عادة ما يستعيز عن الأصوات بأخرى من هذا النوع. فلو نظرنا إلى بعض مفردات العربية الفصحى المحتوية على حرف (القاف) مثلا، فإن متحدث الدارجة المغربية يبدلها في مواضع همزة كما في مدينة فاس أو (g).

وعلى هذا الأساس، فالأنظمة الصوتية للفصحى والدارجة بنية صوتية واحدة، يحتل فيها النظام الصوتي الدارج المنظومة الأساسية، وتكون السمات الزائدة في النظام الصوتي الفصيح بمنزلة منظومة فرعية أو شبه منظومة.

3.1. الازدواجية على المستوى الدلالي:

استقت الدارجة المغربية مفرداتها بنسب كبيرة من العربية،²⁷ إلا أن دلالة مفرداتها لم تبقى حبيسة تلك المعاني العربية القديمة، حيث إن جلها حمل معاني غير المعنى الذي وضعت له، ومؤدى هذا أنها تعرضت لصنوف من التطورات، لا يكاد يثبت لها معنى في انتقالها من السلف إلى الخلف، فالجيل اللاحق لا يفهم جميع الكلمات على الوجه الذي كانت عليه في الجيل الذي قبله، والعكس صحيح. ويساعد على هذا الاختلاف كثرة استخدام بعض المفردات في غير ما وضعت له عن طريق التوسع والمجاز، فقد يكثر استخدام الكلمة في جيل ما في بعض ما تدل عليه، أو معنى مجازي تربطه بمعناها الأصلي بعض العلاقات، فيعلق المعنى الخاص أو المجازي وحده بأذهان الصغار، ويتحول بذلك مدلولها إلى هذا المعنى الجديد. أو يخصص معناها العام، فلا تطلق إلا على بعض ما كانت تطلق عليه من قبل، أو يعمم مدلولها الخاص، فتطلق على معنى يشمل معناها الأصلي ومعاني أخرى تشترك معه في بعض الصفات، أو تخرج عن معناها القديم، فتطلق على معنى آخر تربطه به علاقة ما، وتصبح حقيقة في هذا المعنى الجديد، بعد أن كانت مجازاً فيه، أو تستعمل في معنى غريب كل الغرابة عن معناها الأول.²⁸

وتساهم في هذا اللاتبات عدة عوامل²⁹ من قبيلها؛ أن تغير طبيعة أو عناصر أو وظائف أو حتى الشؤون الاجتماعية للكلمة متصل بما كانت تدل عليه. فكلية (الريشة) مثلاً أطلقت على آلة

²⁷ انظر شفيق محمد، الدارجة المغربية مجال توارد بين الامازيغية والعربية، (د.ن)، (د.ط)، (د.تخ). ص30.

²⁸ انظر وافي علي عبد الواحد، فقه اللغة، ص113. ووافي علي عبد الواحد، علم اللغة، ص314 و323.

²⁹ انظر وافي علي عبد الواحد، علم اللغة، ص319-325.

الكتابة أيام أن كانت تتخذ من ريش الطيور، ولكن، تغير الآن مدلولها الأصلي تبعاً لتغير المادة المتخذة منها آلة الكتابة، فأصبحت تطلق على قطعة من المعدن مشكّلة في صورة خاصة.

ويتطور مدلول المفردة تبعاً لوفرة السياقات التي تستخدم فيها، فكثرة استخدام العام مثلاً في بعض ما يدل عليه يزيل مع تقادم العهد عموم معناه، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله. وكذلك استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع، يزيل خصوص معناه ويكسبه العموم. وحتى تعدد استخدام الكلمة في معنى مجازي يؤدي غالباً إلى انقراض معناها الحقيقي، وحلول هذا المعنى المجازي محله. واستخدام الكلمة في فن بمعنى خاص يجردها من معناها اللساني ويقصرها على مدلولها الاصطلاحي.

إلى جانب ذلك فإن مبلغ وضوح الكلمة في الذهن من عدمه يجعلها قابلة للتغيير. فكلما كان مدلول الكلمة واضحاً في الأذهان قل تعرضه للتغيير، وكلما كان مبهماً غامضاً مرناً كثر تقلبه وضعفت مقاومته لعوامل الانحراف.

وحتى ثبات أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وتغيرها يذلل أحياناً السبيل إلى تغييره، ذلك أن صلتها بالأسرة التي تنتمي إليها، وبالأصل الذي اشتقت منه تظل وثيقة وواضحة في الذهن، ما دامت محتفظة بصورتها الصوتية، وقوة هذه الصلة تساعد على ثبات مدلولها؛ على حين أن تغير صورتها الصوتية يضعف صلتها في الأذهان بأصلها وأسرتها ويبيدها عنهما، وهذا يجعل معناها عرضة للتغيير والانحراف.

ولا يقتصر الأمر على الأصوات فقط، بل حتى القواعد، فقد تذلل قواعد اللغة نفسها السبيل إلى تغير مدلول الكلمة، وتساعد على توجيهه وجهة خاصة. ومن ذلك مسألة التذكير، فتذكير كلمة (ولد) في العربية قد جعل معناها يرتبط في الذهن بالذكر، ولذلك أخذ مدلولها يدنو شيئاً فشيئاً من هذا النوع، حتى أصبحت لا تطلق في كثير من الدواجر إلا على الولد من الذكور.

على أن عوامل اختلاف الناس في طبقاتهم وفئاتهم ينجم عنه كذلك اختلاف مدلول الكلمات والخروج عن معانيها الأولى. ويؤدي إلى ذلك ما يوجد بين الجماعات الناطقة باللسان الواحد من فروق في الخواص الشعبية والجسمية والنفسية وفي شؤون السياسة والمجتمع والثقافة والتربية ومناحي التفكير والوجدان ومستوى المعيشة وحياة الأسرة والتقاليد والعادات، وفي الظروف الطبيعية والجغرافية المحيطة بكل جماعة منها، وما تزاوله كل طبقة من أعمال وتضطلع به من وظائف، والآثار العميقة التي تتركها كل وظيفة ومهنة في عقلية المشتغلين بها، وحاجة وإرادة كل طبقة إلى دقة التعبير وسرعته، وإنشاء مصطلحات خاصة بصدد الأمور التي يكثر ورودها في حياتهم، وتستأثر بقسط كبير من انتباههم، وما يلجئون إليه من استخدام مفردات في غير ما وضعت له، أو قصرها على بعض مدلولاتها للتعبير عن أمور تتصل بصناعتهم وأعمالهم.

ويتسم التطور الدلالي بكونه يخضع للقوانين التي يضعها هذا التطور؛ منها ما يسير ببطء وتدرج، إذ أن انتقال كلمة من معنى لآخر، وحمل للثاني ونزع الأول، لا يتم بشكل فجائي سريع، بل يستغرق وقتاً طويلاً، ويحدث عادة في صورة تدريجية، ينتقل بموجبها إلى معاني قريبة ومتصلة، حتى تصل الكلمة أحياناً إلى معنى بعيد كل البعد عن معناها الأول. وهذا الأمر يحدث بشكل تلقائي، وبطريقة لا دخل فيها للإرادة الإنسانية.³⁰

والحالة التي تنتقل إليها الدلالة ترتبط غالباً بالحالة التي انتقلت منها، وذلك بإحدى علاقتي المجاورة والمباشرة؛ فتارة يعتمد انتقال الدلالة على علاقة المجاورة المكانية، كتحويل معنى (ضغينة) (معناها في الأصل المرأة في الهودج) إلى معنى الهودج نفسه وإلى معنى البعير. وتارة يعتمد علاقة المجاورة الزمنية، كتحويل معنى العقيقة (التي هي في الأصل الشعر الذي يخرج على الولد من بطن أمه)

³⁰ انظر وائي علي عبد الواحد، علم اللغة، ص 314 و 315.

إلى معنى الذبيحة التي تنحر عند حلق الشعر. وتارة يعتمد على علاقة المشابهة كتحول معنى (الأفن) (وهو في الأصل قلة لبن الناقة) إلى معنى قلة العقل والسفه، إلى غير ذلك.³¹

ويتقيد التطور الدلالي في غالب أحواله بالزمان والمكان، فمعظم ظواهره يقتصر أثرها على بيئة معينة وعصر خاص. ولا نكاد نعثر على تطور دلالي لحق جميع الألسن الطبيعية في صورة واحدة ووقت واحد. ويشمل حدوثه في بيئته ما ظهور أثره عند جميع أفراد هذه البيئة.³²

4.1. إضعاف الازدواجية:

وعموماً، يتضح أن هذه الخصائص التي تحدث عنها فيرجسون تنطبق على حال العربية والدارجة، فتتبعنا (السابق) لانبثاق الثانية عن الأولى من الناحية التاريخية أدى بنا للقول؛ إن العلاقة بينهما ليست بالأمر المستجد، وليست وليدة قرن أو اثنين، ذلك أنهما تقاسما الاستعمالات اللسانية، التي تحيل على نوع من انعدام التساوي الاجتماعي، حيث نجد أن اللهجات العاميات والدواجر توظف في المستويات (الدونية السفلية)، أي تختص بالوظائف الحياتية البسيطة والمعتادة، في حين تتميز الفصحى بأداء الأدوار العليا، لأنها لسان الاستعمال (الرسمي الراقي) المنطوق والمكتوب على السواء. ولا يعني هذا أن تلك الدواجر مستقلة عن الفصحى، فالاستقلالية تتحصل بالتعبير والتطبيع والتقعيد، ووضع معايير الاستعمال الصحيح. والفصحى لسان معقد ومنمط، ويخضع لقواعد الضبط والتقويم في النطق والكتابة، بينما ليس للدارجة كتب أو معاجم أو معايير موحدة أو ضابطة، أو بالأحرى ليس لها تلك الإنتاجات التي تخول لها أن تكون في مصاف الأنواع العليا. فالفصحى إذن مستقلة، بينما الدارجة ليست كذلك. ولعل الذي ساهم في هذا التقسيم قدرة الفصحى على أن تكون لسان دين، فلا يمكن للسان غير مستقل أن يوظف في الدين، بمعنى

³¹ انظر وائي علي عبد الواحد، علم اللغة، ص 316.

³² انظر وائي علي عبد الواحد، علم اللغة، ص 317.

أن شرط ملء الوظائف الدينية، مرتبط بشرط الاستقلالية. وإذا كانت الداريجة تابعة وغير مستقلة، فإنها بعكس الفصحى، لا يمكن أن تكون لسان دين. وهذا ما أكسبه التاريخ للفصحى.³³

وبقدر ما يرتفع عدد المتكلمين ويتحسن وضعهم الاجتماعي، تصير الأغراض المنحزة (فاعلة) و(وظيفية)، وبذلك تتوافر سمة (الحيوية) وتكبر. وتنمو قابلية النوع اللساني ل(الاستقلالية) و(التاريخية) و(الحيوية) نفسها، في حين أنه كلما تقلص العدد، وتدنى مستوى المتعلمين، انحط النوع اللساني وصار عقيما، و(غير مستقل)، و(غير تاريخي)، و(غير حيوي)، ولا شك أن عدد مستعملي العاميات والدوارج العربية كبير، لأنها وسيط المتكلمين العرب في الوظائف اليومية، وتستجيب لحاجات التداول المحلي. وعلى الرغم من ذلك، ليست حيوية بالمعنى المحدد في هذا السياق، فهي غير مؤهلة للتطبيع (Normalisation)، أو (التوظيف الديني) بسبب طبيعتها المتعددة، والمتغيرة، ولا يمكن أن ترقى إلى مرتبة الفصحى مهما تطورت.³⁴

إن ازدواجية اللسان وضع ثابت نسبيا، ففي حالتنا اللسانية، فإنه بالإضافة إلى دارجتنا التي تلون لسان السواد الأعظم منا، هناك الفصحى التي تعد نوعا لسانيا أكثر اختلافا، وعلى نسبة عالية من المعيارية، ومتميزة بخصائصها الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية، ولها أدب مكتوب بكميات كبيرة، مستمد من عصور سابقة، ومن مجتمعات أخرى تتحدث النوع اللساني الأعلى كلسان أم، ويحظى تراثنا باحترام أفراد المجتمع العربي، الذي يلجأ إلى التعليم الرسمي لاكتساب ذلك النوع المتميز بعلوه وسموه، ويستخدم هذا النوع لأغراض الكتابة والتحدث في المواضيع الرسمية، ولكن لا يعول عليه في الحديث في شؤون الحياة اليومية.

³³ انظر خربوش ثريا، «اللهجات العربية محددات وسمات»، مداخلة علمية مقدمة في ندوة (آفاق اللسانيات دراسات-مراجعات-شهادات، تكريما للأستاذ الدكتور نهاد موسى)، بيروت لبنان، (مارس 2001)، ص 215.

³⁴ انظر خربوش ثريا، «اللهجات العربية محددات وسمات»، ص 216.

إن الازدواجية في عالمنا العربي وفي محيطنا المغربي تواجه الناشئة منا منذ مرحلة مبكرة من الطفولة، تقدر في الغالب بدخول المدرسة، وربما واجهته قبلا أثناء احتكاكه بالقنوات التلفزية الموجهة لهذه الفئة، وتمارس الازدواجية بدرجة أكثر ضمن مستويي اللسان؛ المكتوب والمنطوق، ذلك أنهم يكتبون بالنوع الأعلى ويتكلمون بالنوع الأدنى، الأمر الذي يخلق لديهم معاناة قاسية جراء لسان يتجاذب مع مولود له شديد العقوق، لأنه يحتل مواقع مهمة في المجتمع وجوانب مختلفة من حياة الفرد.

والمجتمع الأجنبي فيما يتعلق بالفصحى والدارجة هو السبب الأول، لكن المسألة بعد انتشارها كانت تتأثر بالأسرة العربية والمجتمع العربي، أي بأهل العربية أنفسهم حين صارت الدارجة قارة بينهم، وحين تدنى المستوى الثقافي والمعرفي وانحسرت المعرفة اللسانية، وتدنى الوعي اللساني بالعربية والانتماء لها، فصار المجتمع داء العربية بعد أن كان أحد أدويتها. وفي هذا الحين أصبحت الدارجة متوارثة، يرثها المحتك بها أبا عن أب، وجيلا عن جيل. ولا ترقى لمستوى الفصحى، وإنما هي تابعة دونية مجتزأة ومشوهة أحيانا كثيرة، ولا تحمل في بذورها قابلية للاستمرار والتطور خارج نطاق تداولها الشفهي المحصور. ومن اللافت أنه لا يلجأ لإثارة مواضيعها إلا في خضم الأزمات السياسية والمصيرية التي تواجهها الأمة العربية في مسيرة نضالها. والدعوات المعروفة إلى تقعيد العاميات والدواجر وتعميم استعمالها، أو استبدال الفصحى بها، ولا تعدو هذه المطالبات والمزاعم عن كونها دعوات استعمارية وإن لبست لبوسا علميا متجددا.³⁵ فكيف نواجه هذه الدعوات ونصبو نحو إضعاف الازدواجية العربية والمغربية بالخصوص؟

يعد الازدواج اللساني مرتبطا بوجود (تنوعات لسانية) متكاملة لأغراض الاتصال الداخلي في مجموعة لسانية معينة، بناء على إسناد المجتمع وظائف معينة مختلفة إلى تنوعات لسانية مختلفة.

³⁵ انظر القعود عبد الرحمان بن محمد، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، ص32. وسراج نادر، «إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي (رؤية ألسنية حديثة)»، ص222.

لذلك يكون حجم الازدواج تابعا لتعدد الأدوار الاجتماعية وتنوعها، ولتقاربها وضعفها.³⁶ ويقل حجم الازدواج بل ويضعف إذا ما كان النوع الأدنى أقرب إلى النوع الأعلى، أو بتعبير آخر تكون الدارجة أقرب إلى اللسان المعيار، وعليه لا يفكر المتكلم في لسانين، وإنما في لسان بصيغة المفرد وفي سلامته. وعلى العكس من ذلك فالازدواجية القوية تسود في الوضع الذي يكون فيه اللسان المعيار والدارجة متباينين بما يكفي في إدراك المستعملين، وبنظامين متميزين من القواعد واسمين مختلفين.³⁷

ويلحظ أن علاقة الدارجة المغربية بالعربية، وإن كانت في طريقها إلى التباعد، فإنها لن تصل إلى حد الاستقلال التام، ذلك أن الرابط بينهما من ناحية الازدواجية ضعيف إيجابا لا سلبا، فالنوعين معا متقاربان ويجمعهما نسق واحد، كل يغترف بحسب حاجته. إلا أن ما خلق نوعا من التوظيف المجتمعي هو النقل الذي حدث للعربية وحوّلها من لسان أم إلى متعلم، والسبب في ذلك راجع بالأساس للتحويل التنقيصي الذي قذفت به من لدن متكلميها، ولم يكن السبب يوما فقرا في مقوماتها البنيوية الداخلية، أو انعدام قدرتها على المواكبة، فاللسان لا ينهار بفعل الفقر أو الضعف الداخلي، وإنما يعود السبب في ذلك للتنقيص منه، والذي يؤول به أولا إلى أن يصير لسانا ثانيا، بعد أن يكون أولا، ويسود الاضطراب في نقله وتواتره وإيصاله عبر الأجيال، مما يؤثر في تعلمه كلسان أم.³⁸

ويمكن التنبؤ بأفول الازدواجية حين يتم إدخال التنوع العامي في مجالات مخصصة عادة للتنوع الأعلى. ويتكرر هذا بأفول التمكن الشعبي من النوع الأعلى، والتمهيد لتبني الأدنى في النصوص الدينية أو الدنيوية، المكتوبة والشفوية، التي تستهدف الشعبيين بالأساس، ونموذج ذلك سلطات الكنيسة الغربية التي انشغلت بكون الناس العاديين لا يفهمون الخطب اللاتينية، مما

³⁶ انظر غالي محمد، «اللغة والهوية في ضوء النظرية السياسية»، ص 334-335.

³⁷ انظر الفاسي الفهري عبد القادر، السياسة اللغوية في البلاد العربية، ص 23.

³⁸ انظر الفاسي الفهري عبد القادر، اللغة والبيئة، ص 24.

جعل مجلس مدينة تور في سنة 813 يقر بأن الأساقفة يجب أن يترجموا خطبهم إلى الرومانية أو الألمانية. فما دعا إلى الإصلاح كما يقول بولغرم هو الاعتراف بأنه لا يمكن أن تتكلم إلى الناس بلغة توقفوا عن فهمها منذ مدة، ولا يمكن أن تنفذ إلى أرواحهم.³⁹

ولعل النموذج اللاتيني هو ما يحدث في المغرب اليوم، إذ أصبح يتعذر على المتعلم فهم النص الديني فهما صحيحا، فما بالك بغير المتعلم الذي أصبحت خطب الجمعة الملقاة بالعربية عليه مدعاة للنوم ومجلبا للملل، ويرجع السبب في ذلك لانتشار الأمية على نحو كبير، الشيء الذي دعا جل المنابر الدينية إلى توظيف الدارجة، تفسيرا وتيسيرا للفهم. وهذا على العكس مما نبتغيه ما هو إلا تقوية سلبية لحالة ضعف إيجابي وجب توافرها.

وفي هذا الصدد فإننا ندعو ولسنا ندعي السبق، إلى تعميم تعليم قوي، ولن تتأني لتعليمنا العربي والمغربي خصوصا إلا بالانغماس اللساني، فلا تعليم لساني للعربية دون استعمال لها، وذلك يساعد على الاندماج السريع وفي وقت أقل، ما دمنا نهدف إلى تقليص الكلفة. فإذا كان اللسان يكتسب بالسماع فحري بالتعلم أن يسير في هذا المنحى، فلا إنجليزية تتعلم بالعربية ولا فرنسية تلجأ إلى ذلك، فالأولى أن تتعلم العربية بالعربية. ولعل خطط الانغماس المبكر للأطفال في بيئة تنطق بالعربية يساعد على اكتسابها في سن مبكرة، ويتلافى الازدواجية المضرة بنجاح العمليات التعليمية.⁴⁰

وبنفس الكيفية فإن نمو المشاركة الكثيفة في التعلم لمختلف الطبقات، عبر العالم، قد وضع حدا لتقليد نخبوية التعلم، وفتح الباب أمام انتشار تعلم عربية معيار حديثة ضمن شرائح كبيرة من السكان، وتطويرها للأهداف التواصلية المطلوبة. وترتبط بتعلم العامة بصفة قوية وسائل الإعلام، ففي البلدان العربية ساهمت الإذاعة والتلفزة والسينما والجرائد والمجلات، إلى حد ما في انتشار معرفة

³⁹ الفاسي الفهري عبد القادر، السياسة اللغوية في البلاد العربية، ص27.

⁴⁰ انظر الفاسي الفهري عبد القادر، السياسة اللغوية في البلاد العربية، ص35.

اللسان العربي المعيار الحديث، والصيغ الحضرية للعربية المنطوقة، إلى درجة أصبح معها الفلاحون في مصر وسوريا والعراق يفهمون الأخبار باللسان المعيار.⁴¹

وبجمل فيرجسون التحولات التي تؤدي إلى ضعف الازدواجية فيما يلي: (1) انتشار التعلم. (2) تواصل أوسع بين مختلف أجزاء المجموعة الإقليمية والاجتماعية. (3) الرغبة في قيام لسان وطني معياري كسمة للاستقلالية والسيادة والوحدة السياسية أو القومية. فالضعف أو الأفول مقتترنان بالتحديث والتمدن والأهداف التجارية والتصنيع، والحاجات المتولدة عن هذه التحولات المؤدية إلى خلق قوة عاملة متعلمة، إضافة إلى صعوبة إبقاء الفصل بين الخطاب الموجه إلى المتعلم والخطاب الموجه إلى غير المتعلم، ويؤدي التحديث إلى تعميم التعليم والتعلم، وإلى أفول الازدواجية.⁴²

إن الإرادة الحرة والمشروعة تدعو لصون العربية وتطويرها والخروج من نفق تقوية الازدواجية سلباً، الشيء الذي ينعكس على اللسان العربي، فالأولى نشر العلم وتعميمه بالعربية لا بلسان أجنبي يفقد المتعلم هويته، ويخلق هوة تلتهم القدرة حتى على فهم النص الديني، الذي لا طالما كان حظوة للعرب والعربية، وأي تحول نحو الدارجة أو الألسن الأجنبية ما هو إلا دفع لقطع الصلة والنسب.

إن اللسان، أي لسان لا يحتفظ بوحده إلا بمقدور ممارستنا له، لذلك وجب استعمال العربية في المؤسسات والمدارس والجامعات وكل ما له القدرة على رأب الصدع، والتحفيز الإيجابي على استعمالها والتحدث بها، وهذا أمر لا يتأتى بين ليلة وضحاها، لكن حسبنا المحاولات والدعوة إليها والسهر على تنفيذها، فإن كان سبب انخراط الأمة تبخيس لسانها والخط من شأنه، فلا سبب للنهضة والتقدم إلا بالرفع من شأن هذا اللسان وتقديمه على ما سواه.

خاتمة:

⁴¹ انظر الفاسي الفهري عبد القادر، السياسة اللغوية في البلاد العربية، ص 29 و 30.

⁴² انظر الفاسي الفهري عبد القادر، السياسة اللغوية في البلاد العربية، ص 27.

عموما وبناء على ما تم إيرادته في الصفحات أعلاه، يتضح أن الوضعية اللسانية التي جمعت وتجمع العربية المعيار بالدارجة المغربية تمثل ازدواجية لسانية كما في دراسات فيرجسون وغيره، حيث احتل اللسان العربي المعياري النوع الأعلى داخل هذه الازدواجية، نظرا لقيمته وتوفره على إرث أدبي مكتوب، ظل مقتربا به طوال قرون عديدة ربت عن الأربعة عشر، محمولا في نصوص شعرية ونثرية توارثتها الأجيال، زد على ذلك أن الشق الوظيفي الذي يتبنى الأمور الجادة والرسمية داخل المقامات العليا، تشبث بهذا النوع اللساني ليعبر به، ولم تكن هيئته ولا منزلته عند ذويه منحطة في يوم من الأيام، وإنما نظر إليه على أنه الهوية الأممية التي تعكس الكيان العربي وتجذب الكائن العربي للاعتزاز والافتخار به في لا وعيه، في حين أن وعيه يحثه على التنقيص والاستخفاف من لسانه العربي. لقد درج على ألسن العرب ما أفقد للعربية فطرتها من الناحية الاكتسابية، وجعلها لسانا لا يتأتى نيله إلا بالتعليم الرسمي، ورغم غنى مفرداته وتراكيبه إلا أنه لم يعد يستعمل منها إلا الشيء اليسير.

إن احتلال العربية مصاف الأنواع العليا ترك الجزء الأدنى من الازدواجية لتشغله اللهجات والدواجر العربية، حتى سار نسقها الصوتي مبنيًا بالأساس على نسق هذه الدواجر، التي اتخذت من الحياة اليومية داخل البيت أو خارجه وبين الناس عامتهم وحتى خاصتهم لسانها الخاص، وقل أن هذا اللسان يفرض وجوده في الحياة الوجدانية التي لا تحتاج إلا أدنى تكلف، الشيء الذي جعل من مستعملها يزيد بفضل أن هذا النوع الأدنى مكتسب بالفطرة، وأول ما يسمع الإنسان في هذا الوجود هي تلك التوظيفات الدارجة البعيدة عن العربية المعيار، وعليها يشب.

لقد بنى فيرجسون أساسا لسانيا للازدواجية، ووضع مؤشرات تحيل على كيفية تقويتها وإضعافها، فانتشار التعليم والدعوى للتعلم أحد السبل لإضعاف هذه الازدواجية، وتلحيم الشرح بين النوعين الأعلى والأدنى، لدرجة تفقد الأخير شيئا من قوته، ولن يتأتى هذا الإضعاف ما دامت الأمم تحمل لسانها وتزدرية، لاجئة لألسن أخرى لا تعلو عليه في شيء إلا في إرادة شعوبها وطموحهم، ولا أدل على ذلك من أن العربية يوم أن كانت في عصور الازدهار، كان ذلك بفضل

علمائها وقادتها، زد على ذلك اليوم التجربة الأنجلو سكسونية التي جعلت الإنجليزية في صدارة ألسن العلوم ومطمحا للمتعلمين، والفضل كل الفضل في ذلك لذويها. إننا قلنا ونكرر القول بأن انخراط الأمة ثقافيا؛ تم بالتخلي عن لسانها وتهميشه، ونشر الأمية لا انتشارها، وبيع الجهل، ولا سبيل للعودة إلا بإعلاء شأن العربية، ودعم تواجدها داخل المؤسسات، فلا تجربة تغنينا عن هذا السبيل ما دمنا لا نتهم الذئب بمقتل يوسف.

لقد ساهمت الطفرات التي شهدتها العربية في اتساع الفجوة بين لسان الحديث والتواصل اليومي، ولسان الدين، إلا أن ذلك لم يكن ليعني استقلالها الكلي عن العربية الأم، بل هي مرتبطة بها، تتمتع منها حاجتها، وتدخل معها في علاقة تكامل. ولا أدل على ذلك ما تمثله الدارجة المغربية بالنسبة للعربية، فالدارجة المغربية وعلى غرار الدواجر المتحدث بها في البلدان العربية، تولدت بفتح العرب لشمال إفريقيا والمغرب الأقصى بالخصوص إبان الفتوحات الإسلامية، وتشكلت بالصراع بين البربرية والعربية، ورغم تغلب الثانية على الأولى ظلت العوائد النطقية للسكان الأصليين حاضرة، بالإضافة للميل نحو البسيط السهل غير المكلف، كسمة تسم الجنس البشري ككل. وما يؤكد عربية الدارجة المغربية هو ذلك الاستبقاء اللساني للنسق البنيوي العربي حسب حاجة الوظيفة الحياتية، وحضور السمات اللهجية العربية التي كانت سائدة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، وإن صح الأمر فإن الفرق الكبير الذي باعد بين العربية المعيار والدارجة المغربية، لا يعدو عن تخلص أو شبه تخلص من الحركات، بين تقصير وتمديد واختلاس وحذف.

لقد دفعت بنا دراستنا للازدواجية اللسانية لإجلاء الغموض عن عربية دارجتنا المغربية، ورفع اللبس فيما يتعلق بهذا الأمر، خصوصا وأن الدعوات الإيديولوجية حاولت وما زالت تحاول نفي صفة العربية عنها. وإن كان هذا يشكل الحد الأول للسيف، فحده الثاني تشحذه تلك الدعوات التي تحت على تبني الدارجة لسانا رسميا بدل العربية، وهذه دعوة لا تختلف عن الأولى في شيء سوى أنها تدعو لقطيعة دينية.

إن الدارحة المغربية والعربية المعيار تنطلقان من نفس البنية العميقة، وتبنيان النسق نفسه، إلا أن السرعة في الأداء تسقط ملامح الاتصال. وبالرغم من هذه الإسقاطات فما يظهر يكفي لإثبات النسب والبنوة.

وعليه، فإن هذه العلاقة المبنية على هذا الأساس، تخلص إلى أن أنسب مصطلح لساني يصف هذه الوضعية اللسانية يمثل له بـ: (الديجلوسيا)، التي تجعل ترتيب الدارحة ضمن مصاف الأنواع الدنيا كوسيلة تعبيرية تبتلع الحياة اليومية المادية، في حين تجعل من العربية المعيار نوعاً أعلى، له حضوره وهيبته داخل الأوساط الخاصة به، ويعد من العيب ومن باب السخرية استعمال اللسان الدارج فيها.

قائمة المراجع المعتمدة:

الكتب:

- الأوراعي محمد، التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2002م.
- الفاسي الفهري عبد القادر، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1998م.
- الفاسي الفهري عبد القادر، اللغة والبيئة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (د.ط)، 2003م.
- الفاسي الفهري عبد القادر، السياسة اللغوية في البلاد العربية بحثاً عن بيئة طبيعية، عادلة، ديمقراطية، وناجعة، دار الكتب المتحدة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2013م.
- القعود عبد الرحمان بن محمد، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، (د.ن) الرياض، ط1، 1417هـ/ 1997م.

- مصطفى عادل، مغالطات لغوية الطريق الثالث إلى فصحي جديدة، مؤسسة هنداي سي أي سي، (د. م)، (د. ط)، (د. تخ).

- شفيق محمد، ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الأمازيغيين، (د. ن)، (د. ط)، (د. تخ).

- صالح الفلاي إبراهيم، ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق، (د. ن)، الرياض، ط1، 1417هـ/1996 م.

- وافي علي عبد الواحد، فقه اللغة، نخصة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، أبريل 2004م

المقالات:

- الحاج صالح عبد الرحمان، «العاميات العربية ولغة التخاطب الفصيحة»، مداخلة علمية مقدمة في ندوة (الفصحي وعامياتها، لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب)، الجزائر، (04-05 يونيو 2007).

- خربوش ثريا، «اللهجات العربية محددات وسمات»، مداخلة علمية مقدمة في ندوة (آفاق اللسانيات دراسات-مراجعات-شهادات، تكريماً للأستاذ الدكتور نهاد موسى)، بيروت لبنان، (مارس 2001).

- موسى عطا، «نهاد موسى والتخطيط اللغوي مثل من ظاهرة الازدواجية اللغوية»، إريد للبحوث والدراسات، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، 2009م، ص 201-224.

- المصري عباس وأبو حسن عماد، «الازدواجية اللغوية في اللغة العربية»، المجمع، العدد 8، 1436هـ/2014م، ص 37-76.

- غاليم محمد، «اللغة والهوية في ضوء النظرية السياسية»، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، يناير 2013م.

- سراج نادر، «إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي (رؤية ألسنية حديثة)»، مجلة الاجتهاد، العدد 20، السنة الخامسة، صيف العام 1414هـ/1993م، ص 213-240.